دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

عظات رهبانية

١-التوبة
٢- التسليم والتسلُّم في حياة الرهبنة
٣- الحب الكلي والتَرك الكلي
٤- حياة الراهب ذبيحة روحية متواصلة

الأب متى المسكين

كتاب: عظات رهبانية عن التوبة.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولي: ٢٠١٣
الطبعة الثانية: ٢٠١٥.
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٢٧١٠ / ٢٠١٢.
رقم الإيداع الدولي: ISNB 978-977-5545-76-3.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.
متى المسكين، ١٩١٩-٢٠٠٦.
عظات رهبانية عن ١- التوبة ٢- التسليم والتسلم في حياة الرهبنة
٣- الحب الكلي والترك الكلي ٤- حياة الراهب ذبيحة...
متى المسكين- وادي النطرون دير القديس أنبا مقار برية شيهيت،
٥٦,٢٠١٢ ص؛٠٠سم
تدمك ٣ ٧٦ ٥٥٤٥ ٩٧٧ ٩٧٨
١- المواعظ (المسيحية).
٢- الرهبنة.
أ. العنوان٢٦ / ٢٧٥

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

١- توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت الله[١]

فصل من إنجيل معلّمنا متى البشير بركته على جميعنا:

+ «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برّية اليهودية قائلاً: "توبوا، لأنهُ قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل: صوتُ صارخٍ في البرية، أعدُّوا طريق الرب. اصنعوا سُبُله مستقيمةً". أنا أُعمّدكم بماءٍ للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونارٍ. الذي رفشُه في يده، وسيُنقّي بيدَرَه، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنارٍ لا تُطفأ» (مت ٣: ١-٣، ١١، ١٢).

أنا رأيت أن أبتدئ بهذه البداية التي اصطلح الآباء والقديسون والعلماء على فهمها على ممر العصور أن هذه هي البداية الحقيقية للعهد الجديد، وأن الحديث عن المسيح والخلاص يبدأ من يوحنا المعمدان ويبدأ من التوبة.

يبدأ من حيث انتهى إليه ملاخي النبي: بعودة قلوب الآباء إلى الأبناء، والأبناء إلى الآباء «لئلا آتي وأضرب الأرض بلَعنٍ» (مل ٤: ٦)، ولكي يحل السلام من رب السلام، لذلك نسمع عند مجيء المسيح في يوم

---

(١) ألقيت علي الرهبان يوم الأحد ٢٥/يونيه/١٩٩٥

ميلاده أن السماء انفتحت والملائكة هلّلت وسبّحت بالمجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة. هذه هي بداية الإنجيل، بداية العهد الجديد، وبداية الحياة المسيحية وبداية الكنيسة.

تذكُرون أني من هذا المكان تحدَّثت كثيراً عن الآمال المعقودة على حياة الرهبنة في هذا الدير.

و لم تكن كلمات في الهواء، ولكن كان يلازمها توجيه وتعليم بأقصى ما يكون الجهد بالكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة والصلاة بكل أنواعها.

فكنا نرمي البذرة الأُولى لنضعها في التربة الجيدة في مكان القديسين الذي ارتوت به دموعهم وأخرجت لنا شجرة الكنيسة التي لا زلنا نقطف من ثمارها ونأكل، فليس خفيّاً عليكم، بل يلزم أن يكون واضحاً وظاهراً، أن الحياة الرهبانية هي الخلفية الحيَّة والقوية للكنيسة القبطية من أول يوم نشأت حتى اليوم.

فالنسك والعبادة بدآ بالعلمانيين من يوم الخمسين، الذين كانوا يصلُّون ويصومون، وانقطعوا للعبادة، وكانت الكنيسة المسترشدة بالروح القدس قد وزَّعت نفسها توزيعاً إلهيّاً متقن النظام ومحدَّد الابتداء:

+ «لا يُرضي أن نترُك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم، مشهوداً لهم ومملُوّين من الروح القدس وحكمة، فنُقيمهم على هذه الحاجة. وأمّا نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أع ٦: ٢-٤).

وبالفعل من أول ما ابتدأت خدمة الشمامسة بدأ نظام التوزيع، وبدأ

كل واحد عنده مال يقدّمه للكنيسة، والكنيسة تضعه عند أرجل الرسل، والرسل يصرفون منه بنعمة وأمانة على خدمة الآخرين والبيوت، وخصوصاً للداخلين الجدد للكنيسة.

أما الرسل فتفرَّغوا نهائيّاً لكلمة الله والصلاة، أي للإنجيل كتابةً ومعرفة وشرحاً والصلاة، فتوزَّعت أعمال الكنيسة بنعمة فاقت حدّ التصوُّر، وكان الرسل - كالمكتوب - لا يفارقون الهيكل طوال وقتهم، كانوا في الهيكل الذي كان هو الكنيسة الأُولى بالنسبة لهم.

كانوا في الهيكل في رواق سليمان حيث يجتمعون فيه للتعليم، وكان يجتمع حولهم المريدون، مسيحيين ويهوداً، ويتقبَّلون المعمودية. إلى أن غار الشيطان وأراد أن يقسم ويضع الحدود النارية ما بين اليهود والمسيحية، فأُخرجوا من الهيكل، فابتدأوا يلتمسون أمكنة في البيوت يجتمعون فيها ويقيمون الصلاة والمائدة. إنما لم تفارق الكنيسة مبدأها أن الرسل للإنجيل والصلاة فقط، والشمامسة للخدمة.

فإذا أردنا اليوم أن نطبّق هذا الوضع على الكنيسة الحاضرة، أو حتى الكنيسة منذ ألف سنة وأكثر نجد أن الذين تركّز اهتمامهم في كلمة الله والصلاة كانوا هم الرهبان في الأديرة. أما الخدمة فتولاها الكهنة والأساقفة.

فمن هم الذين كانوا يصلُّون ويقيمون كلمة الله نساخة وشرحاً وتوضيحاً؟ كانوا هم الرهبان بمن فيهم من أساقفة الذين كانوا يلجأون للأديرة لكي يؤلّفوا كل ما ألَّفوا، فكانت الكنيسة تُبنَى بناءً روحيّاً من الداخل والخارج.

ولم يكن البناء شكلياً بل بناء روحياً ظهر في الكتابات التي كُتبت وفي الشروحات وفي الجماعات التي خرجت للجبال تصلّي وتتعبَّد.

وظلّت الكنيسة على هذا الوضع إلى أن تغيَّر الحال قليلاً قليلاً، حتى أُفرغت الأديرة من رهبانها وصاروا يجولون في المدن يطلبون الحسنة. وضعفت الأديرة جدّاً جدّاً إلا من بعض النساك الذين نسمع عنهم في القرون الوسطى وبعد الوسطى، حيث كان الاضطهاد واقعاً عليهم من الداخل ومن الخارج. ومعظمهم نـــزل قرب الريف وابتدأوا يبنون الصوامع ويعيشون فيها إلى أن ابتدأت الكنيسة ترجع ثانية إلى وضعها الأصلي، وابتدأت الأديرة تعمر قليلاً قليلاً ابتداء من القرن الخامس عشر تقريباً، وابتدأ الرهبان يكوّنون المجامع مرَّة أخرى.

فإذا نظرنا نظرة فاحصة للحياة الرهبانية أولاً وأخيراً، فإننا نجد أن الرهبان كانوا هم الساهرين على أسوار أورشليم الذين يترجون وجه الله أن لا يترك الكنيسة بل أن يتمّم وعده وعهده، لكي يتمّم كلمته ويجريها على ممر السنين، وأعماله أيضاً يُبقيها. وقد كان. فالله لم يترك الكنيسة أبداً.

فمن هذا المكان كنت قد بدأت أن أتكلّم عن الحياة الرهبانية كقصدنا الأول والأخير. ولو أني لا أضع نفسي إلا موضع ما قرأت عليكم اليوم، أكثر مما قاله يوحنا المعمدان، صوتُ الصارخ في البرية.

فإنني لما خرجت، لم أخرج إلا على أساس أن أحيا للمسيح ولوجه المسيح فقط. ولم أجد أي مكان أعيش فيه وأحيا للمسيح إلا في الرهبنة. وكانت الرهبنة من الضعف والهوان والاستهانة بقدرٍ لا يمكن لأحد أن يتصوَّره، إلا من قلَّة كانوا معتزلين في قلاليهم شيوخاً ورهباناً، لما قابلتهم

وسمعت كلماتهم كانت حلوة مثل العسل. وأخذتُ نصيحتهم وعملت بها ولصقت بقلبي والتصق قلبي بها، وعشت للحياة الرهبانية في وضعها المذلول لا أطلب شيئاً إلا أن يستمر الله يروي هذه البذرة المغروسة في أرض الكنيسة لكي تنبت يوماً من الأيام وتُخرج ثمارها. وكانت الرهبنة في دير أنبا مقار تنمو، وكنت أشعر أنها تنمو، وكنت فرحاً برغم الظروف المحيطة بهذا الدير منذ أول نشأته، ومنذ بداية الحياة الرهبانية فيه، اضطهاد لم يحدث له مثيل في جميع الأديرة طوال السنين التي عاشتها الكنيسة.

وبرغم هذا كانت الرهبنة هنا تنمو روحيّاً، والدير يُبنَى بطريقة سرية لا يدركها إنسان، لا أعرف من أين تأتي الأموال، ولكن كانت تصحبها حوادث مذهلة. كنت أتمنى أن يتوقّف سيل العطايا التي تأتي إلينا، لكي تكون علامة حتى نبطّل الأشغال التي كنا نعملها، ولكنها أبداً ما فرغت، وأبداً ما فرغ العمل من هذا الدير لآخر يوم دلالة على أن يد الله ممدودة للبناء الروحي والبناء المادي، وقد بُنِيَ وكمُلَ البناء. ولكن جاءت ظروف غريبة، وتيارات غريبة، جاءت من اتجاهات شريرة للعبث بالحياة الرهبانية.

جاء بعض الرهبان واستهانوا بالدعوة واستهانوا بالرهبنة، واستهانوا بالأب. فخرج مَن خرج، وشتم مَن شتم، ولعن مَن لعن، والباقون الموجودون في الدير كانوا على غير أمانة، لا للعمل ولا للروح ولا للعمل الروحي. فبصعوبة شديدة يحضرون للكنيسة، وبصعوبة شديدة يعترفون، وبصعوبة شديدة يجرجرون أرجلهم في طريق الحياة الأبدية.

وجاءت ظروف قاسية على الدير من اتجاهات شديدة معاكسة وهبَّت

ريح مسمومة على بعض الرهبان، فظنوا أن تكميل حياتهم يكون خارج الدير. فتلمَّسوا لهم مكاناً في العالم بين أيدي الناس وبين قلوب الناس لكي يُمدَحوا ويكون لهم الأولوية إذا كانت هناك انتخابات أو تقديمات!

شعرت بهذه الحركة في آخر أيامي قبل ما أترككم مباشرة فتعجَّبت! ما موقعي في هذا الدير. البذرة التي وضعتُها في الأرض بالدموع ورواها الله بالروح بعد ما كبرت قليلاً لَوَت رأسها ثانية نحو التراب، إذن، فما عملي في هذا المكان يا رب!!

قلت لكم في البداية أني لما خرجت لكي أعبد الرب يسوع المسيح وأحيا أمام وجهه كل أيام حياتي لا أطلب إلا وجهه فقط ولا أنتمي إلى هيئة كنسية أو غير كنسية، خرجت بهذا الاتجاه وأنا معتمد على المسيح ومتكل عليه، وأعانني مدة طويلة وأنا وحدي لمدة ثلاث سنوات ونصف. وأنا أجاهد بهذا الإيمان الحي، أعيش للرب يسوع المسيح الليل كله والنهار. أنام بقدر وآكل أقل قدر يسند الجسد مما هو متوفّر. وكنت فرحاً جدّاً، أتكلّم أمام الله سرّاً وعلناً: يا سيدي الرب أيوجد عندك ملكوت أفضل من هذا؟ إني أشعر أنني أعيش الآن في الملكوت، فرحٌ الليل والنهار، تهليلٌ بالروح وبالقلب، حتى جسدي في سرور قبل روحي ونفسي. أنا متعجّب هل عندك يا رب في ملكوتك فرح أكثر من هذا؟ ولكني لن أحتمل، فأنا الآن فَرِح بأقصى ما يمكن أن يفرح به جسد ونفس. أنا بعد ذلك سأقع ميتاً فليس عندي طاقة أن أفرح أكثر من هذا. فهل عندك في ملكوتك فرح أكثر من هذا؟! ثم كانت ضيقة أشد ضيقة في الأكل والشرب والمعاملة السيئة للغاية.

وفي الشهر الأول من وصولي الدير (الأنبا صموئيل- سنة ١٩٤٨)

صدر قرار من المجمع المقدس بإخراج الدير من قائمة الأديرة المعترف بها. وهكذا صار الدير معزولاً ولا يؤخذ منه رهبان للرسامة لأي درجة كنسية. كان تهليلي لا يُصدَّق، وكان لي زميل - الله ينيّح روحه - قال لي: كيف سنعيش هكذا؟ قلت له: بالنعمة. قال لي: لا، أنا لا أقدر أن أعيش. وإذا بخطاب يأتينا: انـــزلوا حالاً من الدير. فأنا قلت: لا، أنا لن أنـــزل. زميلي نـــزل، حاول أن يقنعني للنـــزول معه فلم أقبل. قال لي: يا أخي كيف نعيش بهذا الأكل، هل هناك فيتامينات في المش؟ قلت له: نعم، أنت لا تعرفها فهي تكون بالروح وليس بالفكر العلمي. لقد انتهى الفكر العلمي، تركناه في العالم وجئنا هنا لكي يقيتنا الله ويعتني بصحتنا وما يطلبه الجسد هو يعتني به. ولكنه قال: لا لن أقدر أن أعيش هنا. قلت له: براحتك أما أنا فلن أنـــزل. ومكثت ثلاث سنوات ونصف. هذا الملكوت لا ينقطع فرحه ليل نهار، إلى أن حدث أني نـــزلت رغماً عني كالعادة في كل تغيير لوضعي أو موقعي أو سبيلي أو طريقي. كانت القوة الجبرية هي التي تنقلني من مكان إلى مكان وأنا صامت وراضٍ وغير متذمر.

تَبقَى هنا .. حاضر، روح هناك.. حاضر، سيب هنا.. حاضر، أنت محروم.. حاضر، تفضل في الحرم.. حاضر، إلى ما شاء الله.. حاضر. عشر سنوات ونحن في وادي الريان اعتبرونا محرومين، نشروا أسماءنا العلمانية في إعلان مدفوع الأجر بجريدة الأهرام (عام ١٩٦١). كنت معروفاً في كل الأوساط الحكومية والعائلية والمعاملات التجارية. لم أهتـــز، ولكن الكنيسة كانت تتلذَّذ بهذا، أما أنا فلم أهتـــز إطلاقاً. ومرت السنوات، سنة وراء سنة، وكنا قد انتهينا في أنفسنا، وعثرنا على

طافوس (مدفن الرهبان) قديم نظَّفناه وقلنا: هذا جيّد، إن شاء الله نُدفَن هنا في هذا الطافوس الذي وجدنا فيه أماكن الدفن، توابيت في الأرض لكل واحد منا. التوابيت مفتوحة ولكن مبنيَّة وأسماء الذين ماتوا مكتوبة بالقبطي الصعيدي والتواريخ التي انتقلوا فيها. كنا فرحين ومتهللين للغاية إلى أن جاء أمر: تنـــزلوا. حاضر، تنـــزلوا حالاً. حاضر (هذا كان في عيد جلوس البابا). وكانت هذه هي قصة مجيئنا إلى دير القديس أنبا مقار (سنة ١٩٦٩).

فهمت في الحال أن هذا هو بيت القديس أنبا مقار الكبير أعظم رهبنة في العالم نشأت بعد رهبنة القديس أنبا أنطونيوس الكبير. ولكن رهبنة أنبا أنطونيوس لم تخرج عن قلايته فلم يكن حوله مريدون. فقد كانت قلايته على بعد ٣٠ إلى ٤٠ كيلومتر من النيل، كان يأخذها ذهاباً وإياباً في مدة طويلة، وينـــزل بعكازه إلى مقره في الريف حيث يقول لأولاده يا أولادي، هل يوجد ضيوف عندكم؟ فيقولون له: نعم يا أبانا. فيسألهم: من أورشليم أم من مصر؟ فإن قالوا له: من أورشليم يقول لهم: أدخلوهم، فيقابلهم. أما إن قالوا له: من مصر، يقول لهم أعملوا لهم طعاماً واصرفوهم.

«من أورشليم» يعني أنهم أتوا ليطلبوا ملكوت الله، فيسهر معهم ويصلّي معهم. هذه رهبنة أنبا أنطونيوس. لم يكن له نظام رهبنة، ولكنه وضعها بحكمة، لم يستطع إنسان مثله في العالم أن يستوعب هذا الإنجيل كله في حياته وينقله في عظاته. قرأت عظاته بتمعن ونعمة ثم نقلته إلى الإنجيل، وربطت بين عظاته وحياته ورهبنته والإنجيل. وكتبت عنه كتاباً سميته: "**القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي**". وكانت هذه أول تسمية

لكتاب يربط بين الإنجيل والرهبنة الأولى[٢].

كانت رهبنته حلوة، كانت أفكاره غير مدوَّنة، وليس فيها قوانين مكتوبة. كانت كل القوانين هي مبادئ أنطونيوس الإنجيلية، عشت بها، وأحببتها وفرحت بها وكرَّست حياتي لها وابتدأت أبني خطوة خطوة لئلا أُتعب الذين ورائي. فلم يكن ورائي عمالقة يبدأون معي الطريق العملاق الذي عاشه الأنبا أنطونيوس وبدأه بعَمْلقة حقيقية. ترك أخته في بيت للعذارى وانطلق وحيداً يطلب وجه الله في البرية، فقابله الشيطان وقال له: لماذا أتيت إلى بريتنا لتتعبَّد يا صغير العقل والعمر. فأجابه أنبا أنطونيوس: أنا بالحقيقة أصغر من أصغركم ... تصاغر جدّاً ووضع نفسه في التراب.

كل من اتضع بمذلة أمام الله والناس، يستحيل أن يدخل إليه الشيطان من أي مدخل. إنسان غلبان مسكين يبكي ويقول: يا رب أنا فقير، كيف أعيش في وسط القديسين، يا رب أعنّي، كيف أعيش يا رب والشياطين كثيرة تحاربني؟ أرجوك، تعامَل أنت معهم بطريقتك، أنا لست حمل أصغرهم. أنت يا ربي يسوع أعنّي.

أمام هذه المسكنة كان لابد لهم أن يهربوا ولا يقدروا أن يجدوا لهم مدخلاً فيك. وبعد ذلك لما يحاول رئيس أو زميل أو راهب حاقد أو حاسد أن يذلّك ، أو يحاصرك حتى يطفّشك، تقول: أنا غلبان، أنا تحت أمرك، ذلّني كما تريد ولكن لا تطردني، اتركني أعيش تحت الأرض.

---

(٢) تُرجِم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية.

انظر، لما يكون أكبر مفتري في الدنيا لابد أن ينكسر أمام تذللك. مَن ذا الذي يسلك بالمذلَّة ثم يستطيع أن يُذلّه إنسان!؟

من ذا الذي يطلب أن يكون لا شيء وتحاول الدنيا أن تجعله لا شيء وتنجح؟ فهو لا شيء، فماذا يعملون فيه؟

مثل الثعلب الذي إذا جاء ذئب ليفترسه ينام في الأرض ويشيح برجليه وينفخ بطنه بطريقة عجيبة جدّاً وتخرج منه رائحة كريهة نتنة، فيجيء الذئب فيشمه ويجده نتناً، فيظن أنه جيفة، ولا يقترب منه. مَن الذي يُضطَهَد في العالم ويقبل الاضطهاد، ثم ينفع فيه الاضطهاد.

مرة قال القديس أنبا مقار للراهب زكريا: يا زكريا مَن هو الراهب؟ أجابه زكريا: أتسألني أنا يا أبي؟ فقال له الشيخ: نعم يا ابني زكريا، إنني متيقن بالروح القدس الذي فيك، لأن شيئاً ينخسني أن أسألك. فنـــزع أبا زكريا «كوكلوسته» من على رأسه ووطأها بقدميه قائلاً: مَن لا يسمح لنفسه أن يُعامَل هكذا لا يمكنه أن يكون راهباً. هذه هي الرهبنة. لقد تركنا كل شيء وتبعناك. إذا نظرتُ إلى الخلف مرَّة أخرى أتحوَّل إلى عمود ملح فاسد، وليس ملحاً يملح الأرض. ولكنه ملح فاسد: «وإذا فسد الملح فبماذا يُملَّح، لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يُطرح خارجاً ويُداس من الناس» (مت ٥:١٣). لقد وضعت يدي على المحراث، محراث ملكوت الله، والطريق قدامي مفتوح و لم يُغلَق، فكيف أنظر إلى الوراء؟!

ظللت سائراً مع رهباني لغاية ما رأيت أنه لا يوجد أحد يمشي معي. هذا أول تأديب، ظللت تعباناً بعض الشيء، ومتضايقاً قليلاً، لكني وجدت علامات واضحة شديدة الوضوح من بعض الرهبان الذين دخلهم روح شريرة ومشوا مع بعضهم. واحد يريد أن يكبر، ويرغب أن

يبقى شيئاً، يريد أن يكون له مكانة. يود أن يبقى مسئول دير، يريد أن يأخذ مني إحدى مخصصاتي، يحاول أن يلف عليَّ. قلت في نفسي: ما هذا؟ ولماذا أجعله يتعب، لماذا؟ فليبتلع كل ما نفسه فيه. وقلت لله: أخرجني يا ربي، على أني لا أعود. لأن الزَرعة التي زرعتُها ماتت في يدي. فَمَن ذا الذي استعين به ثانية لكي تحيا؟ ظللت أبحث عن عود أخضر، فلم أجد. قالوا لي محتاجين أحداً يأخذ اعترافات. فقلت: فلان يأخذ الاعترافات. قال أنا تعبان. وفلان آخر يأخذ الاعتراف. قال: أنا غير متفرغ، أو زعلان.

يا الله، يا الله .. راح تعبك في الأرض يا متى يا مسكين.

أهذا هو التعب الذي تعبته؟! كم سنة مع هؤلاء؟ منذ أربعين سنة حتى ٣٠ سنة كله راح تراب. ألا يوجد واحد يمسك الدير؟!

أنا خارج على أساس أن هذا العمل سأتركه للمسيح، وإن أرادوا، يعطيهم الرب قوة ويعطيهم عافية ويُنجحهم وينوَّرهم. فانتظرت كل الانتظار ولكن لم أجد فائدة. نأتي بفلان يأخذ باله من الرهبان، فيقول: تعبان يا أبونا.

إذن، هاتوا فلان، هل أنت يا أبونا فلان غير قادر؟ يجيبني: ماذا أعمل يا أبي فإنهم لا يسمعون كلامي، وهم متعبون.

صليت في يوم، صليت بدموع وبقلب مفتوح، أما يوجد يا رب في هذا الدير رهبان يعبدونك؟ ألا يوجد رهبان بصحيح يعبدون الرب من كل قلوبهم؟ إذن هل يستحقون يا رب أن أرجع لهم ثانية؟ هل يمكن يا رب أن تقيم هذا الصرح ثانية؟

هذه الرهبنة التي قامت بالروح. ماذا يعوزها؟ التوبة، التوبة.

كنت حينئذ أكتب في شرح إنجيل لوقا، وعن يوحنا المعمدان الذي جاء ينادي بالتوبة. التوبة باب مفتوح، لا يُغلَق إلا بعد أن يحضر المسيح في نهاية العالم. باب منير مفتوح، عليه ملائكة يقبلون الداخلين ويحتضنونهم وينحنون أمامهم ويقولون لكل واحد منهم: اذهب بسلام فَرَح الله منتظرك!

في الحقيقة أنا جئت من أجل الرهبان الصادقين الذين يعبدون الرب في قلاليهم بالدموع والبكاء، الذين يطلبون ملكوت الله، الذين جاءوا وكان مجيئهم حقيقيّاً، ووضعوا في أنفسهم أن يعيشوا هنا ويموتوا هنا، جئت لأجل هؤلاء، جئت لأحيا معهم برجاء مشترك، بعهد مشترك، بروح قوية مشتركة ونعمة متجدّدة، بصلاة لا تنقطع قط، لنقيم صرح آبائنا.

لا تسقط الكنيسة ونحن أحياء، لا تسقط الكنيسة من مجدها الأول ونحن نعيش. يسندها داود في المزمور بالروح: «إن نسيتُك يا أُورشليم أنسى يميني ويلتصق لساني بحنكي» (مز ١٣٧:٦). أي أنه لن يقدر على الكلام إن نسي أورشليم. انظروا داود الذي كان يعيش في حياة ملوكية كيف كانت أمانته لأورشليم!

إلا أن أمانتنا نحن الذين تركنا كل شيء في العالم لكي نحيا لأورشليم السماوية، فكيف نخونها؟ أورشليم أمنا حيَّة في السماء، فتحت سفرها لنا وأسماؤنا مكتوبة فوق في سفرها.

انظروا يا آبائي، هذا ليس كلامي بل كلام جميع حكماء الرهبان.

لم يوجد ولن يوجد طريق في الحياة أقدس من طريق الرهبنة، الذين

يظلون بالحق أمناء للرهبنة ليس لهم مثيل.

وأضيف أنا الذي عشت هذه السنين في هذا الطريق وأقول: الطريق الرهباني يسقي الإنسان كل يوم من نعمة الله ليحيا من فوق وليس من الأرض، ليس من أجل الخبز أو بالخبز نحيا، بل نحيا بكلمة الله وبنعمة الله، نكتشفه بالروح كل يوم. على يديك يا رهبنة وعلى أيدي قديسيك الذين حفظوا لنا هذا التراث حيّاً قائماً هو هو كما هو. كان أجمل من هذا مائة مرة القديسون الذين هم في الطريق الذين لا تتوقّف تسابيحهم وصلواتهم. كان دير أنبا مقار فردوساً سماويّاً، أو عدة فراديس لأنه كان هناك عدد من المجموعات، ٧ أو ٨ مجموعات في البرية، وفرادى بلا عدد ومتوحدون بلا عدد. متى تأتي هذه الأيام لكي يعيش أنبا مقار الطقس الأول: مجمع تحيط به الوحدة. وحدات للعبادة تصلّي الليل والنهار، ومتوحدون حفظوا البتولية لصلاة الليل والنهار.

سيأتي اليوم وإنما على أعناقكم وبصلواتكم، ولكنه لن يأتي من فراغ ولا بالآمال وإنما بوضع نير المسيح على رقابنا. قال لهم: نيري هيّن وحملي خفيف، حَمل الصليب أخف حَمل في العالم، هو صليب يسوع المسيح.

ما معنى هذا؟ صليب ربنا يسوع المسيح هو أن أحمل عهد موتي على كتفي، وأخرج به. فالذي يشتمني أقول له: يا حبيبي، أنا موتي على كتفي، الذي هو الصليب، يعني موتي أنا أحمله على كتفي. فما هو الصليب؟ هو الموت.

الرب كرَّس الصليب للموت، والموت للصليب، ونحن لُبَّاس الصليب.

كان لي قريب من العائلة منذ مدة كبيرة جداً، كان له ولد وحيد، أخذوه في التجنيد، وهو الذي كان يمسك لأبيه كل عمله في الأرض وليس له غيره. ذهب هذا الرجل وعمل كَفَناً وكرَّسه عند القسيس ووضعه على كتفه وأخذ عكازه وطلع إلى القلعة. وطلب مقابلة مولانا والي مصر محمد علي باشا. ولكنهم رفضوا، فظل ثلاثة أيام أمامهم بدون أكل أو شرب. فدخلوا وقالوا لمحمد على باشا الكبير عنه، إنه يوجد رجل عند الباب له ثلاثة أيام، ولا يريد أن يبارح المكان حتى الموت إن لم يقابل الباشا. فأمر بإحضاره. فسأله: ماذا تريد؟ فأجابه: أنا لي ابني الوحيد وأخذوه في التجنيد. فقال له: وما هذا الذي على كتفك؟ قال له: الكفن، فأنا عامل حسابي إن مولانا يأمر بقتلي فالكفن موجود حتى لا تصرفوا عليَّ. فأجابه الأمير: دَع كفنك عليك. وأمر بإطلاق ابنه حرّاً.

هكذا الراهب يقول للرب: إما أن تُرجع لي وحيدتي وإما أموت.

إما أن تُبقي حياتي لك وروحي لك، وإلا فإن موتي أفضل، فما فائدة الجسد يا ربي يسوع. فإما أن أعيش لك وإما لا أعيش. فإما أن أعيش للطريق الذي اخترتني فيه وأُمجّد اسمك ويقولون فلان مات على الطاعة في دير أنبا مقار، وإلا فلا داعي أن أعيش. والكفن هو الصليب الذي نحمله على أكتافنا. فلا يمكن أن نبقى تلاميذ للرب يسوع ولا نحمل الصليب. وهذا الصليب قال لك عنه الرب: «إن نيري هيّن وحملي خفيف» (متى ١١: ٣٠). فهل يوجد أخف من إنسان مستعد كل حين للموت؟

نيرنا هيّن جدّاً يا آباء، نيرنا هيّن وحملنا أخفُّ ما يمكن طالما نحن حاملون موتنا في قلوبنا، حاملون موتنا على أكتافنا ومستعدون أن نموت

في كل لحظة.

كيف لا أقوم وأُصلّي في نصف الليل؟ لماذا يضحك عليَّ الشيطان ويقول لعلك تموت في الطريق؟ كيف لا أقوم وأُصلّي في قلايتي الصلوات الخاصة بي؟ كيف يُسلب مني بطاقة تحقيق شخصيتي؟ فإنه يلزم أن أختم عليه كل يوم. فلن أنام إلا إذا قال لي إلهي وحبيبي يسوع المسيح: نَم يا حبيبي. لأنه يعطي أحباءه نوماً.

لعلك تقول لي: أنا غلبان لا أعرف الإنجيل، فإني أفتحه ولا أفهم. مثل الأب المتنيح أبونا سلوانس الذي كان يقول لي أنا غلبان، لا أتقدَّم، أنا مخّي تخين، مخّي حجر، ولا أفهم. وأخيراً بالمثابرة، جاء أبونا سلوانس فرحاً وقال لي: انفتح الإنجيل. انفتح. وأنا سعيد وفرحان.

هذا هو الإنجيل وهذه هي الحياة الرهبانية: خطوة خطوة، الذي لا تفهمه اليوم ستفهمه غداً. لا تطلب معلّماً يعلّمك الإنجيل لأن معلّمك واحد هو الروح القدس كاتب هذا الكلام، والمعنى غاطس في أقصى الأعماق.

يعني أنا حينما أشرح إنجيل مرقس أو إنجيل لوقا، فإنما أشرح المعنى الظاهري وأقف. أما المعنى العميق فهو الذي يعلّمه الروح القدس لكل واحد.

حتى أنك تتعجب كيف يكون كل هذا المعنى في آية واحدة؟ أقول لك: لأنه ليس مكتوباً لإنسان واحد ولا هو مكتوب لعقلية واحدة ولكنه مكتوب لكل إنسان ولكل عقلية ولأعمق العقليات. فأنت عليك أن تأخذ هذا كله ثم تدخل وراء العمق. قال لهم الرب: هل اصطدتم

شيئاً؟ قالوا له: ولا سمكة واحدة. تعبنا الليل كله و لم نَصطَد شيئاً. قال لهم: لأنكم تجرون وراء العقل، ارموا شباككم على اليمين وليس على الشمال. فرموا شباكهم على اليمين و لم يقدروا أن يسحبوا الشبكة بل كادت تتخرَّق. الحكمة والفنون القديمة تخرَّقت وخابت كلها. وملأوا المراكب ونادوا للذين على البر لكي يساعدوا.

أفهمتم أنه ينبغي أن ترمي بشبكتك في العمق؟ صيد العمق هذا ليس للصنارة. قالوا له لم نصطد شيئاً، فهل يمكن أن نصطاد شيئاً في العمق. فرموا الشباك واصطادوا. هذه كلها رموز: السمك رمز والشبك رمز والعمق رمز. فالإنجيل أعماق، والروح يعمل في العمق.

«طوبى لمَن يجلس إليَّ كل يوم ساهراً» (أم٨: ٣٤)، كتبت هذه الآية على الحائط في مغارتي، كنت أقعد أقرأ ثم أقوم أصلّي. لم أشبع من القراءة، فالكلام حلو. فأظل أقرأ وأقرأ. ثم أقوم أصلّي.

فطوبى لمَن يجلس إليَّ كل يوم ساهراً. لماذا لأنه سيأخذ من الروح القدس، لأن السهر عطية، فما بالكم بالساهرين الصارخين إليَّ نهاراً وليلاً أمَا أعطيهم الروح القدس؟

هل الروح القدس يُعطَى بسهولة؟ إذا أخذت صنارة لتصيد من على الشاطئ فهل تصطاد شيئاً؟ لا لا، لابد من العمق جدّاً جدّاً.

وعندما يرى الرب أنك صياد عمق سوف يترك نفسه لك لكي تصطاده.

فمن أجل هذا جئت في هذا اليوم لكي نبني حياة روحية جديدة على أساس رهباني. فعلى كل راهب أن يحمل كفنه على كتفه، فإن كنتم

تدفنون الراهب في تونية فيا ليت كل واحد يحتفظ بتونيته التي سيُدفَن فيها ويزخرفها ويضع لها صلبان ويعلّقها وكل يوم يقبّلها، ويقول لها السلام لك يا ممتلئة نعمة، فأنا في يوم ما سوف تلبسيني وليس أنا الذي سألبسك، سألبس الصلبان التي عليك، وبك ستطير نفسي وروحي إلى فوق. وهكذا يعيش وهو يعلم أنه في يوم من الأيام سيمشي وليس له إقامة هنا. كل يوم وكل ليلة بصلاة زيادة وسهر زيادة. وهكذا ستفرح جدّاً حينما تجد الأرقام تزيد، سيدخلك نار كلما تجد الأصحاحات التي تقرأها كل يوم في ازدياد، والصلوات في ازدياد، والمعرفة تـــزداد.

أنا لن أغيّر شيئاً من نظام الدير، كل راهب في مكانه، كل راهب في عمله، وكل راهب في قلايته. لن أجبر راهباً على الخروج من القلاية. ولن أسأل راهباً عن سؤال إلا ما هو يسأله لكي أرد عليه. لن يحدث في يوم من الأيام أني أسأل راهباً ماذا تعمل؟ الراهب الذي يأتي إليَّ ويقول لي ماذا أعمل، سوف أقول له. والذي لا يسألني سوف لا أقول له شيئاً.

الذي يأتي ويطلبني يجدني. والذي لا يطلبني سوف لا أجري وراءه.

وهذا ليس خطأ، فأنتم تعرفون الابن الضال لما أخذ كل ما له وما هو ليس من حقه في ميراث أبيه وهو حي، لم يرسل أبوه أحداً خلفه ولم يبعث بأخيه الكبير ليسأل عليه، ولا أرسل عاملاً من عماله ليراه حياً هو أم ميتاً، ولا ليطمئن عليه إن كان عائشاً أو ميتاً، إلى أن كاد أن يهلك من الجوع والفقر والبُعاد المر، فقال هو في نفسه أقوم وأذهب إلى أبي.

إن لم يأت إليَّ الراهب فلن أذهب إليه، وإن لم يطلب أن يسألني فلن أسأله. ولن أجبر راهباً على عمل لم يُجبر هو نفسه عليه. ولكني سأرحّب بكل راهب يبتدئ يفكر لكي يعمل شيئاً ويجدد في حياته،

ويبتدئ مشاريع لتجديد الحياة، وأفكاراً حلوة تملأ قلبه حتى ولو كانت قليلة ونادرة، فليس عندي مانع أن أسمعها. ولكن بعد هذا الذي قلته سوف لا أكتب.

أما الجلوس معي فطالما أعطاني الله صحة فسوف أجلس معه، أو أعطاني قوة فسوف أتكلم، وأعطاني نعمة فسوف أشرح.

وأولاد الله هم الذين يسمعون ويستجيبون، وأنا لا أريد إلا أولاد الله فأنا لم أتكرَّس إلا من أجل أولاد الله. وأتمنى لكم بداية جديدة كبداية يوحنا المعمدان الصارخ في برية دير أنبا مقار: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله» (مت٣: ٢). توبوا لكي بعد التوبة تؤهَّلون لعطية الروح القدس أو لعماد الروح القدس. ولو أننا كلنا قد عُمّدنا بالروح القدس يوم اعتمدنا في معمودية الكنيسة. ولكن لا شك أن الروح القدس يعطي عطايا لا حصر لها.

والمجد لله دائماً أبديّاً آمين.

٢- التسليم والتسلُّم في الحياة الرهبانية[٣]

في الحقيقة كانت مسئولية كبيرة عليَّ جدّاً، وكنت أحس بها من زمان بعيد أن الرهبان الجدد لهم الأهمية الأُولى من جهة التعليم. وكنت أحس بالإهمال الموجود بالنسبة للرهبان الجدد. فكانت لي سبب تأنيب مستمر للضمير، ولكني كنت أعتقد أن هذا لا يمكن أن يكون، فقد ظللت أعلّم على مدى حوالي أربعين سنة. وكنت أتوقع أن الذين سمعوا وكبروا وصاروا شيوخاً في البرية أنهم يعلّمون الجدد. فلم يكن عندي أدنى قلق لما تركت الدير، بأن الكبار يسلّمون الجيل الجديد، مما تركته من تعليم مسموع ومقروء ومكتوب. كما علَّمت يعلّمون وكما سلَّمت يسلّمون.

فهناك آية رائدة قالها القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس تقول: «وما سمعتَه مني بشهود كثيرين أودعه أُناساً أُمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضاً» (٢تي ٢: ٢).

الكنيسة قامت على هذا الأساس، والرهبنة كذلك. لذلك أرجو أن تكون هذه الآية دائماً في الذهن والفكر والقلب. وكما سمعتم، هكذا وصّلوا للآخرين، هذه هي وصية الكنيسة.

وعندما نفكر كيف بدأت الرهبنة، لا أقدر أن أبدأ من القديس أنطونيوس ولا القديس مقاريوس ولا القديس باخوميوس، آباء الرهبنة

---

(٣) ألقيت على الرهبان يوم ١٧ يوليو عام ١٩٩٥

الكبار والعظام، ولكن أبتدئ من الكنيسة.

فلا يمكن أن يكون هناك تعليم صحيح للرهبنة إلا من داخل الكنيسة، من داخل مبادئها وتعليمها. فعندما نفحص الكنيسة كيف بدأت، أراها من القمة للقاعدة، ولكن القمة لا أقدر أن أبدأ بها، فلنَدَعها الآن، ولنبدأ من القاعدة، وأبتدئ من الرسل.

نحن كنا منذ أيام قليلة نعيّد لعيد الرسل. وعيد الرسل هو عيد الكنيسة، لأن الرسل هم الذين أقاموا الكنيسة، فأجد أن من الألقاب الهامة جداً للكنيسة أنها "كنيسة رسولية". وإذا أردنا أن ننتقل من القول للفعل فإننا نجد أن بولس الرسول يقول: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢: ٢٠).

فنحن ككنيسة مبنيون على أساس الرسل، وأساس الرسل بسيط للغاية:

هناك قضايا حَكَمَ بها الرسل، وتُسُلّمت من جيل إلى جيل. وهناك آية حاكمة لهذا الوضع تقول عن بولس الرسول وتيموثاوس أنهم «إذ كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلّمونهم **القضايا** (أي التعاليم) التي حكم بها الرسل والمشايخ الذين في أورشليم ليحفظوها» (أع ١٦: ٤). فهؤلاء جالوا في المدن لكي يبنوهم على التسليم والتسلُّم والتسليم باليونانية = (παραλαμβάνω) والتسلُّم (= παράδίδωμι باراذيذومي)، أي كما استلموا يسلّمون. كما قالها العظيم القديس لوقا في إنجيله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما **سلمها** إلينا الذين كانوا منذ البدء **مُعاينين وخُداماً للكلمة**، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيءٍ من الأول بتدقيقٍ، أن

أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمتَ به» (لو ١: ١-٤).

هذا هو الإنجيل، الذي ينقل صورة حيَّة مسموعة ومنظورة ومخدومة من صاحبها. هذا هو بناء الكنيسة من القاعدة للقمة.

وهكذا انتقلت من الرسل إلى الأنبياء إلى رؤساء الكنائس والأساقفة، والقسوس وشيوخ الشعب. فخارج الكنيسة لا يوجد تسليم، وخارج عن التسليم والتسلُّم لا توجد كنيسة.

وكانوا يسلّمون القضايا، والقضايا باليونانية (=δόγματα دوجماتا) ومفردها (=δόγμα دوجما)، أي العقيدة، وشرح العقيدة هو التعليم باليونانية (= κὴρυγμα الكاريجما)، وهذا هو ما قاله المسيح للتلاميذ: «فاذهبُوا وتلمذُوا جميع الأُمم وعمّدُوهُم باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس. **وعلّمُوهُم** أن يحفظُوا جميع ما أوصيتُكُم به.» (مت ٢٨: ١٩، ٢٠).

فما بين التسليم والتسلُّم توجد العقيدة التي هي (= δόγμα الدوجما). فأنت الآن تسمع التسليم الذي تمّ على أيدي الرسل وسلّموه للآخرين. وحينما تسمع عن اجتماع الرسل والمشايخ في أورشليم في المجمع الأول الذي اجتمع هناك سنة ٥٠م: «فاجتمع الرُّسُلُ والمشايخُ لينظُرُوا في هذا الأمر... وكتبُوا بأيديهم هكذا: الرُّسُلُ والمشايخُ والإخوةُ ... **رأينا وقد صرنا بنفسٍ واحدة** ... لأنّهُ قد رأى الرُّوحُ القُدُسُ ونحنُ، أن لا نضع عليكُم ثقلاً أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة» (أع ١٥: ٦-٢٨).

الرسل أخذ موضعهم الآن الأساقفة والكهنة، والمشايخ هم رؤساء

الشعب، وما سلّموه هذه هي (δόγμα الدوجما)، أي العقيدة، وشرحها هو (= κήρυγμα الكاريجما) أي التعليم أو شرح الإنجيل.

فكما كان هناك رسل ومشايخ علموا وسلّموا كذلك كان في الرهبنة.

هذه هي المقدّمة المختصرة التي أريد أن أدخل بها إلى البناء الرهباني أو التعليم الرهباني الذي هو أيضاً مبني على التسليم والتسلُّم، وإنما أيضاً على أساس تسليم الرسل.

فالراهب مهما بلغ من التقوى، ومهما بلغ من القداسة ومن المعرفة، فإذا كان ذلك لا يقوم على أساس عقيدة الكنيسة وشرح الإنجيل فهذه لا تُدعى رهبنة.

فلا توجد رهبنة ولا يُدعى الراهب راهباً إلا إذا كان قد استلم من أب. فالراهب الذي لم يستلم من أب كبير يُعلّم ويُسلّم الرهبنة، فهذه ليست رهبنة. وليس فيها عمق الرهبنة، ولا رائحة لها ولا طعم مهما كانت ومهما بلغت. ولكن إن استلم الراهب من أب ومن معلّمين روحيين يصبح راهباً. أنبا أنطونيوس كما سرد سيرته القديس أنبا أثناسيوس، كُتب عنه أنه قبل أن يدخل الجبل كان مثل النحلة النشيطة يجمع الرحيق من النُسّاك الفرادى الذين قبله، وزار عدداً كبيراً منهم وعمل لنا أقراصاً من العسل. ومن هناك أخذ الروح الرهبانية. أنبا مقار زار أنبا أنطونيوس مرتين، والقصد من زيارته أنه كان يستلم الرهبنة من أنبا أنطونيوس، كما زار أنبا أمونيوس.

باخوميوس كذلك تتلمذ على أبيه أنبا بلامون، سنين كثيرة. وكل

آبائنا قبل أن يبنوا ويعلّموا آخرين تعلّموا وتسلّموا.

الرهبنة قامت على التسليم والتسلُّم، هذا هو بناؤها الأساسي.

أبتدئ الآن أن أبني على بركة ربنا يسوع المسيح، وعلى أي أساس أبني البناء؟ إنه على غير أساس الرب لا يمكن أن يوجد بناء.

+ «وسألهُ واحدٌ منهُم، وهُو نامُوسيٌّ، ليُجرّبهُ قائلاً: يا مُعلّمُ، أيّةُ وصيّة هي العُظمى في النّامُوس؟فقال لهُ يسُوعُ: «تُحبُّ الرّبّ إلهك من كُلّ قلبك، ومن كُلّ نفسك، ومن كُلّ فكرك» (مت ٢٢: ٣٥-٣٧).

هذا ما جاء في إنجيل متى.

أما في إنجيل لوقا فيضيف: «ومن كل قُدرتك» (لو١٠: ٢٧) ثم يكمّل: «هذه هي الوصيّة الأُولى والعُظمى. والثّانية مثلها: تحبُّ قريبك كنفسك. بهاتين الوصيّتين يتعلّق النّاموس كُلُّه والأنبياء» (مت ٢٢: ٣٥-٤٠).

نريد أن نضع الأساس على كلمة يسوع المسيح: على غير المحبة لا نستطيع أن نبني، حيث بدون المحبة يصير البناء هشّاً، ويسقط، مثل من يبني على قش ورمل. فإن كان هناك اثنان يعيشان في المحبة سيصيران واحداً في المسيح يسوع، والرب يسوع يكون ثالثهما. وإذا كانوا ثلاثة أو أربعة أو خمسة، سيكون المسيح هو المكمّل وهو الرأس. فإذا كانوا كثيرين يصيرون معاً جسداً واحداً والمسيح هو الرأس. فعلى المحبة يقوم البناء، وبدون المحبة لا يوجد بناء من أي نوع كان، سواء كان بناءً رهبانيّاً أو كنسيّاً أو حتى اقتصاديّاً أو تجاريّاً ... فلا بد أن تبدأ الصراعات والانقسامات. بغير المحبة يستحيل أن تكون هناك صلاة

مقبولة أمام الله، لا من فرد ولا من جماعة. فإن كنا في المحبة فنحن في المسيح، وإن انعدمت المحبة، فهناك يكون العدو.

جماعة غابت عنها المحبة، انتظر. الانقسام والتشرذم والصراعات والقطيعة. إن وُجدت المحبة ستراهم كل يوم مجتمعين، والكل يبتسم للآخر. والكل يخدم الآخر، في محبة وتواضع. الكل واحد والكل مستعد أن يغسل أرجل الجميع.

تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، وتحب قريبك مثل نفسك، بهاتين الوصيتين يتم تكميل الناموس والأنبياء.

وهذه هي أيضاً وصية العهد الجديد:

+ «وصيّةً جديدةً أنا أعطيكم: أن تُحبُّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبُّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعض لبعض» (يو ١٣: ٣٤ و٣٥)

+ «تحب الرب إلهك **من كل قلبك**» (مر ١٢: ٣٠).

ما هو القلب؟ اسمعوا مني أقوال الآباء وعلماء النفس والخبرة والمعرفة: القلب هو مركز المشاعر والأحاسيس والعواطف.

والنفس مركز الآمال والأماني والطموحات والفرح والحزن، الفرح يتبعه الرجاء والحزن يتبعه اليأس. والفكر مركز التصوُّر والتخيُّل والتمييز.

ولا يمكن لواحد منهم أن يشتغل بمفرده، فمن المستحيل أن يشتغل بمفرده، فمن المستحيل أن تفرز هذا عن ذاك إطلاقاً. فلو أردت أن تفرز النفس وحدها بعيداً عن الفكر انتهت، فإنك تجد الجسد ميتاً. فإذا

أوقفت المخ، أي خدّرته، حتى يتوقّف الإحساس، فقد انتهى كل شيء. فلا النفس تشتغل ولا القلب يعمل. لو أنك أوقفت الفكر، فالكل معاً يقف، هذه هي القدرة الإلهية، فالكل مندمجون معاً، بقيادة القلب. فالقلب هو الذي يتكلّم فيه الله. وهو الذي ينقاد بروح الله. فالقلب في الحقيقة هو القائد الأعظم بالنسبة للإنسان أو ملكات الإنسان أو طبيعة الإنسان: «الإنسان الصالح من كنـــز قلبه الصالح يُخرج الصالحات» (لو٦: ٤٥).

يا رب أَعطِني واعطهم قلباً قريباً من قلبك، يحب عدوَّه قبل أن يحب أخاه وأكثر من أن يحب صديقه.

سؤال: **كيف تعرف المسيحي؟** من كلامه أم من سلوكه؟

الإجابة: من أمرين: ١ - دائماً فرحان. ٢ - يحب عدوه.

فإذا رفعت أحد الأمرين لا يبقى مسيحيّاً. أما إذا رفعت الاثنين فلا يصير مسيحيّاً على الإطلاق. إذا وُجد الاثنان يكون هذا الإنسان مسيحيّاً وأنت مغمض العينين.

ففي الحقيقة، حينما نقول «القلب»، فإننا نقول عن مركز الإنسان كله، ومركز الحياة.

في كتاب «الديداخي» أي «تعاليم الرسل»، كانت الصلاة التي تُقدّم في التقديس وقداس الرب الذي يُصلّى به في رفع الحمل:

[كما كانت حبات القمح مبعثرة أو متفرّقة في السنابل على الجبال وجمعتَها وطُحنت معاً فصارت هذه الخبزة هكذا، اجمع كنيستك يا رب واجمع قلوب شعبك من كل الأرض].

آه يا حبات القمح! وآه يا سنابل القمح! هناك أيضاً قداس للرسل من القرن الرابع يقول فيها:

[كما كانت هذه الحبات - حبات القمح - بعيدة عن بعضها البعض، طحنتهم وجعلتهم خبزة، وهذه الخبزة صارت جسدك، أزل الفوارق أي الردّة، لكي تصير دقيقاً نقيّاً أي طحيناً يُعمل به قربان].

فكيف تُزال الفوارق إن لم نُطحن معاً؟ وكيف يحتوي القلب الحب إن لم يحمل الصليب؟

أحياناً يُرسم الصليب وحوله إكليل شوك. هذا ليس نوعاً من الوجاهة، ولكنها رؤية سليمة ولو أنه لا يعتبر رسماً كنسيّاً تقليديّاً عندنا بل عند الكنيسة الكاثوليكية. إلا أن معناه أن القلب الذي حمل الأشواك قد نبع منه الحب الذي غطّى العالم كله.

إن لم يلبس قلبك إكليل الشوك يستحيل عليك أن تُحب حبّاً صادقاً لقريبك ولا لأخيك ولا لعدوك.

لن تستطيع أن تكون جزءاً من طحين يصلح أن يكون خبزاً للتقدمة لجسد المسيح. يستحيل أن يُقبَل الحب بدون ألم. يلزم أن يكون الذي أحب قد حمل الألم عن أخيه أو أبيه أو أُمه، وعن الآخرين، عن الفقراء، عن إنسان ضعيف مسكين، يحمل عنه الألم أو العوز. مثلما عمل القديس فرنسيس الأسيزي (الراهب الكاثوليكي مؤسّس الرهبنة الفرنسيسكانية)، إنما هو قديس يُحتذى به. فقد لقي رجلاً مجذّماً فحمله[٤] ودخل به إلى

---

(٤) انظر أيضاً قصة القديس أغاثون في بستان الرهبان:

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية

الإخوة الذين كانوا معه، ففزعوا منه وقاموا هاربين من منظره. لأن الجذام ينتقل بالعدوى عبر الهواء وليس فقط من اللمس. لذلك فإن مرضى الجذام يوضعون في مصحات بعيدة عن المدن. ومرض الجذام ينتقل عدواه من الهواء وليس له دواء وهو يأكل أعضاء الجسم جزءاً جزءاً: يأكل الأذن والشفاه والأنف، والأصابع. والمجذّم تجد لحمه يتفتت منه وهو يدمي. هذا حمله فرنسيس الأسيزي ودخل به على الإخوة، وأجلسه بجواره وأخذ يغمس له ويؤكّله لقمة لقمة.

إن لم يصل الإنسان بالحب إلى هذا الحد فلن يصل إلى الحب الكلّي. فالقلب لن يمتلئ بالحب إلا بالألم. الآلام هي صنعتك أيها الراهب.

أول درس في البناء الروحي للراهب الذي يبنينا روحيّاً على أساس الرسل والأنبياء والقديسين هي وصية الرب: «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك» (مت٢٢: ٣٧).

وسأبدأ من قلبك فقط قبل الكل، والطريقة والعلامة التي يكون سعي الإنسان فيها لاحتمال الآلام، كل أنواع الآلام التي تواجهه في حياته عن

← *بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة*

[حدث مرةً أن مضى إلى المدينة ليبيعَ عملَ يديه، فوجد إنساناً مجذوماً على الطريق، فقال له المجذومُ: ''إلى أين تذهبُ''؟ قال له: ''إلى المدينة''. فقال له المجذومُ: ''اصنع معي رحمةً وخذني معك''. فحمله وأتى به إلى المدينة. ثم قال له المجذومُ: «خذني إلى حيث تبيعُ عملَ يديك»، فأخذه. ولما باع عملَ يديه سأله المجذومُ: ''بكَم بعتَ''؟ فقال: ''بكذا وكذا''. فقال له المجذومُ: ''اشترِ لي شبكةً''. فاشترى له. ومضى وباع ثم عاد وقال له المجذومُ: ''بكم بعتَ''؟ فقال: ''بكذا وكذا''. فقال له المجذومُ: ''خذ لي كذا وكذا من الأطعمة''، فأخذ له. ولما أراد المُضي إلى قلايته قال له المجذومُ: ''خذني إلى الموضع الذي وجدتني فيه أولاً''. فحمله وردَّه إليه. فقال له الرجلُ: ''مباركٌ أنت من الربِ إلهنا الذي خلق السماءَ والأرضَ''. فرفع أنبا أغاثون عينيه فلم يره لأنه كان ملاكَ الربِّ أُرسِل إليه ليجربَه].

قرب أو عن بعد. إن كانت قريبة منه وأخذها، فهو ناجح، أما إن كانت بعيدة عنه وسمع بها وذهب وجري إليها فهو بطل. هذا هو ابن الصليب. والراهب هو أقوى إنسان يربح على حساب المسيح، لأنه إنسان يحسب كل شيء عنده رخيصاً من أجل المسيح ..

والمجد لله دائماً أبديّاً آمين.

٣- الحب الكلي والترك الكلي

الرهبنة دعوة للترك (٥)

سأُكمِّل حديثي مع الآباء الرهبان الجدد وهو حديث يتصل بالقدامى أيضاً ونقرأ من أجل بناء النفس من إنجيل القديس متى بركاته على جميعنا آمين:

+ «وسأله واحدٌ منهم، وهو نامُوسيٌّ، ليُجرّبهُ قائلاً: ''يا مُعلّمُ، أيّة وصيّة هي العُظمى في النّاموس؟'' فقال لهُ يسوع: ''تُحبُّ الرب إلهك من كُل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كُل فكرك. هذه هي الوصية الأُولى والعُظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء''» (مت ٢٢: ٣٥-٤٠).

هنا يبلور المسيح كل الناموس والأنبياء، فجميل جداً من فم الرب يسوع أن يقول إن هذا هو ملخص العهد القديم كله، أي الناموس والأنبياء.

القطعة الأخرى التي نريد بها أن نبني أنفسنا، من القديس مرقس كاروز الديار المصرية:

+ «وابتدأ بطرس يقول له: ''ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك''. فأجاب يسوع وقال: ''الحق أقول لكم: ليس أحدٌ ترك بيتاً أو إخوةً أو

(٥) ألقيت علي الرهبان يوم ٢٥ أغسطس عام ١٩٩٥

إخوةً أو أخوات أو أباً أو أُماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً، لأجلي ولأجل الإنجيل، (**لاحظوا هنا أن القديس مرقس هو الوحيد الذي ساوى بين المسيح والإنجيل**)، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان، بيوتاً وإخوةً وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً، (**على القارئ أن ينتبه ويلاحظ – لمن يريد أن يبني نفسه – أنه يأخذ مائة ضعف، من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والأولاد والحقول، ولكنه لم يذكر الأب، لماذا؟ لأنه سبق وقال: «لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات» (مت٢٣: ٩) إبداع من المسيح، وصحوة عجيبة من الإنجيلي مرقس الرسول أن يرفع كلمة "أب" هنا، وكذلك كلمة "امرأة". ما هذا الإبداع؟ فالذي ترك العالم وترك زوجة لن يأخذ نساءً وزوجات بدلاً من التي تركها. كذلك الذي ترك أباه لن يبحث عن آباء، فليس له سوى أب واحد في السماء. يا آبائي، الذي ينتبه للإنجيل ليس فقط يتعزَّى، بل الإنجيل يبني النفس، هذه وحدها تنقذ النفس الساهية عن نفسها. ثم يُكمّل**): «مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية (**الذي هو المسيح نفسه**). ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، والآخرون أولين"» (مر ١٠: ٢٨-٣١)

بمعنى أنه ليس كل من تَرَكَ يتساوى مع غيره. فإن لم يكن الترك حقيقياً ومن أجل يسوع فعلاً لا يأخذ ولا يتهنَّى على ما أخذ لا هنا ولا هناك.

هنا يأخذ مائة ضعف، ليس وجوهاً يتأمل فيها كنساء. لاحظوا يا رجال المقابلات والمضيفة. ليس لك أيها الراهب أن تتطلع في وجه امرأة. ليس لك بعد أن تركت زوجة أو رفضت أن يكون لك زوجة، أن تتطلع

في وجه امرأة.

مطلوب من عينيك أن تستحي وألاّ ترتفع أبداً في وجه امرأة. ليس لك أن تتطلع في الوجوه وتتعزى وتتلذّذ جسديّاً. الراهب ليس له أن يتطلّع في وجه امرأة.

قرأنا في بستان الرهبان، عن الراهب الذي خرج لكي يسقي البستان، فوضع الشَمْلة على رأسه وأَسْدَلَها على عينيه لئلا يتطلّع إلى الثمار فيشتهيها، لأنه وضع في نفسه أن لا ينشغل ولا يأكل من ثمر البستان. بل يخدم، ولا ينتفع لا بالوجوه، ولا بما في الجيوب.

والآن نعود إلى القراءتين، فهناك كلمة ربطت بين القراءتين بعضهما ببعض وهي كلمة "**كل**" انتبه! فهي كلمة من حرفين اثنين، ولكننا سنبني منها بناءً ضخماً.

تجد: «من **كل** قلبك، ومن **كل** نفسك، ومن **كل** فكرك».

ومقابلها: «تركنا **كل** شيء وتبعناك».

العجيب في المسيح أنه حينما قالوا له: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك»، حوّلها المسيح من الجماعة إلى الفرد: «ليس **أحد** ترك»... حتى لا تصير محصورة فقط لحساب التلاميذ، ولكن الرب حوَّلها لكي تكون لكل واحد، قائلاً: «الحق أقول لكم: ليس أحد ترك» (مر٢٩:١٠). فالعلاقة هنا كبيرة جدّاً وعظيمة جدّاً بين الاثنين.

لقد قلت في العظة السابقة: «تحب الرب من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك». وقلت إن القلب هو مركز الأحاسيس والعواطف. وإن النفس هي مركز الآمال والأماني والطموحات والحزن

والفرح.

وإن الفكر هو مركز التصوُّر والخيال والتمييز ما بين الحق والباطل.

وهنا أقول إن الترك لا بد أن يكون من كل القلب.

طبعاً الربط بين الاثنين واضح جدّاً: فإن أردت أن تحب الرب من كل قلبك، ولكن إن تركت كل شيء إلا شيئاً واحداً، فلن ينفعك ذلك شيئاً. بطرس الرسول قالها جملة: «تركنا كل شيء». أما المسيح فلم يعجبه ذلك. ففرّدهم له، لم يترك شيئاً إلا وقاله.

فمن ترك أيّاً من هذه كلها، يأخذ مائة ضعف في هذا الزمان، ولكن لن يأخذهم ماديّاً، ولكن سيأخذهم كغنى روحي، فهو لن يأخذ بدل الحقل مائة حقل، وبدل الأخ مائة أخ وبدل الأخت مائة أخت. ولكن إذا قيل له: أختك على الباب يقول: من هي أختي؟ أنا ليس لي أخت واحدة.

وإن قيل له: أمك تطلبك فيقول: أمي هي العذراء. والمسيح أيضاً هو أمي، كما يقول المزمور: «إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضُمني» (مز٢٧: ١٠). فالرب أخذ وظيفة الأب والأم. هذا هو ما يحس به الراهب الصادق، وخاصة حينما يكون قد جاء حديثاً. فإذا ظلّ صادقاً، فإن هذا الإحساس يظل معه.

الراهب الذي يتكلّم عن أهله، هذا أمر عجيب وغريب، وخاصةً إذا كان الشيب قد خطّ ذقنه. فنحن ليس لنا أب ولا أم ولا إخوة ولا أخوات. فأين هو الترك الكلي نتيجة الحب الكلي؟!

يستحيل أن يقدر أحد أن يترك كل شيء. البيت والإخوة والأخوات

والأب والأم والمرأة والأولاد، كل شيء من هؤلاء، الكل، إلا إذا كان قد أحب الرب من كل القلب.

أخاف جدّاً لئلا نكون مغشوشين، تركنا و لم نترك، ستكون فضيحة. فقد تركنا بالاسم، ولكن بالفعل لم نترك. والنتيجة أننا لن نأخذ شيئاً، ليس لنا أجر.

انظروا يا آبائي، أنا أتوسّل إلى الرب يسوع المسيح الحاضر بيننا الآن، وأتوسّل لكل قلب فيكم، لدرجة أني مستعد أن أقبّل كل قدم من أقدامكم لكي تنفتح قلوبكم وتسمعوا الكلام وتفهموه: كلمة (كل) يعني: (كل).

تركت "كل"، .. لماذا؟ لأني أحبه من "كل قلبي" ومن "كل نفسي" ومن "كل فكري". لذلك تركت "كل" شيء في العالم.

الترك يلزم أن يكون كليّاً لأن الحب يتحتّم أن يكون كليّاً.

إنما لماذا يا ربنا يسوع المسيح تريد منا أن نحبك من كل قلبنا ومن كل نفسنا ومن كل فكرنا؟ لماذا؟ لأن «من يأكلني يحيا بي» (يو٦: ٥٧). لأنه يعطينا شخصه كله. سوف يعطينا كل نفسه لذلك فهو يريد كل نفسنا. فأصبحت هذه حتمية روحية، حتمية إلهية. لأنه في المسيح «من يأكلني يحيا بي». فأنت حينما تأخذ جسد ودم المسيح إنما تأكل المسيح كله.

فالرب يريد أن يعطي نفسه كليةً لنا، فطلب منا أن نحبه من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر. كل ما فينا من عواطف وإفراز وآمال وطموحات.

التلاميذ «تركوا كل شيء». كلمة بطرس أنا أنحني أمامها لأنها تُوفي

حق المسيح: «تركنا كل شيء». انتبهوا: فإن الذي يترك فإن تركه قائم على أنه أخذ المسيح، وأصبح المسيح له كل شيء. أما الذي لم يترك فواضح جدّاً أن المسيح ليس له كل شيء. فما زالت عينه زائغة في العالم، وما في العالم مما يغري من كل الوجوه: عينه زائغة على المال، وعلى ما هو أقل من المال من أمور أخجل ويعف لساني عن ذكرها. ولكن مَنْ فيكم ليس مكشوفاً أمام الله لكي يخجل أن يكشف نفسه للمسيح؟!

الترك واجب أن يكون كليّاً من كل القلب والنفس والفكر. لم يعُد لك شيء أبداً، حتى الجسد يدخل ضمناً مع كل ما نقوله. فكل القلب وكل النفس وكل الفكر يشمل الجسد والروح. وهكذا نكون بذلك مبنيين على أساس الرسل والأنبياء. لأن الرسل تركوا كل شيء وتبعوه، فصاروا عنواناً وقدوة وصاروا فوق أساساً وبنياناً. ففي سفر الرؤيا جاء أن سور أورشليم السمائية له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر. وكان بناءُ سورها من يشب وياقوت أزرق وعقيق أبيض وزمرُّد ذبابي ... إلخ، يعني أنهم تسجّلوا في السماء.

والمسيح صادق على قول بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مر١٠: ٢٨)، ولكنه جعل كلامه ينطبق على كل واحد في كل زمان ومكان في كل الأجيال القادمة، فقال: «ليس **أحد** ترك بيتاً أو إخوة... إلا ويأخذ مائة ضعف... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (مر١٠: ٢٩). أي يأخذني ويأخذ الحياة الأبدية. أي أنه لم يخسر العالم، فلا يمكن لمن "ترك" كل شيء أن يخسر العالم. انتبهوا، فالجماعة الرهبان اليائسون البائسون، الذين يقرعون صدورهم، وأدمغتهم، ويقولون إننا أقل من العلمانيين، نحن غير متمتعين، لماذا جئنا للرهبنة، وخسرنا كل

شيء! آه يا إنسان! آه يا إنسان، ها أنت تأخذ مائة ضعف مما لا يأخذه أي إنسان في العالم ولا حتى الملوك والرؤساء. فالملوك والأنبياء تشتهي ما أخذت أنت. لماذا أنت جالس حزين وكئيب في قلايتك؟ لا تكف عن الشكوى والتأوه والتوجُّع، وتقول إن حظي سيء، فهذا هو نصيبي، أنا لست متعزيّاً، ولست فرحاً. آه يا إنسان، يا خائب القلب والنفس والروح. هوذا أنت لك العالم كله، وليس فقط السماء. أنت لك العالم كله، فكيف تيأس؟ كيف تحس بأنك فقدت، مع أنك أخذت كل شيء؟ افتح عينيك التي عميت من عدم قراءة الإنجيل الذي ينير العينين، لكي تعرف ما قاله الرسل، فنحن قد استلمنا من الرسل، والرسل قالوا: «ها قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مر١٠: ٢٨). فالإنجيل الذي فيه حياتي أُقبّله وأقول: أشكرك يا يسوع المسيح، لأنك أنت معي. فكلمة الله تحييني، كلمة الله تبنيني. فأنا كل يوم أولد جديداً من كلمة الله: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى (مثل زرع الرجل الذي يفنى) بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بط ١: ٢٣). كل يوم نحن مولودون جديداً في المسيح يسوع من كلمة الإنجيل.

يا آبائي، إنها دعوة جديدة، دعوة لكم: الترك الكلي، والحب الكلي من كل القلب والنفس والفكر. من يترك كل شيء من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر، يهلّل ويقول: الذي تركناه يا ربي كله خسارة من أجل حبك.

الرهبنة ليست لعباً، الرهبنة دعوة سمائية ملائكية، الرهبنة دعوة لدخول ملكوت الله. الرهبنة دعوة للترك الكلي بسبب الحب الكلي. لا أقدر أن أحب من كل القلب إذا لم أترك كل شيء! أصير كاذباً وأبو

كل كذاب، والشيطان مالئ لكل قلبي، إذا قلت إني أحب المسيح من كل القلب، وأنا لم أترك من كل القلب. ولا أقدر أن أكذب على المسيح والملائكة والكنيسة والقديسين والحساب في اليوم الأخير، وأقول له: إني كنت أحبك من كل قلبي، ونفسي منعطفة نحوك.

لا أقدر أن أقول: أنا تركت وأحاسيسي وعواطفي كلها منعطفة نحو الناس والأجساد وأموال الناس. على من سنضحك؟ من يقدر أن يضحك على المسيح يا آبائي؟ يمكنك أن تضحك على أي أحد في الوجود إلا المسيح، الذي يقيس كل خلجات نفسك وقلبك وروحك، يقيسها بمقياسه الحساس جدّاً.

حينما تقف تقول له: تركت كل شيء يا يسوع، فأعنّي على أن أترك إلى النفس الأخير. حينئذ يزن المسيح كلامك فيجده صحيحاً بميزانه. فيقول لك: تمسّك بما عندك، فهذا محسوب لك، تقوّ وليتشدد قلبك.

فابتدئ في الطريق، سواء كنت مبتدئاً لابساً جلباباً أبيض أو أزرق، وقل له: يا رب أنا في الحقيقة لم أترك بعد ، أنا أريد أن أترك، لمن أذهب سواك، من يجعلني أقدر أن أترك إلا أنت؟ يا رب اسكُب حبك في قلبي، حرّكه، دعه يغلي بحبك، لكي أعطيك كل قلبي، ولا أبقى بعد غشاشاً ولا كذّاباً.

كيف ألبس الثوب الأسود أو الأبيض أو الأزرق وأعتبر نفسي أني تركت وقد جئت لكي أضع يدي على المحراث، وإذا بي أنظر إلى الوراء، فأجد خط المحراث وقد صار معوجاً نحو العالم، والنساء والبيوت ومحبة الناس الكاذبة، وجيوب الناس! حاشا، حاشا، أن يكون هكذا يا آبائي

وإخوتي. راجعوا أنفسكم مراجعة عنيفة لا تقبل الهدنة أو المهادنة أبداً. اصلبوا أنفسكم قبل أن يسخر منكم الشيطان في اليوم الأخير ويقول لكم: «أنتم أولادي، إلى أين أنتم ذاهبون؟ أنتم لستم للمسيح أنتم لي. أنتم ملكي وقد اشتريتكم. لقد أخذتم مني شهوات وأموالاً و.. و.. وكرامة. أنا الذي أعطيتها لكم وربطتكم بحبال رفيعة وغليظة. أنت ليس ابناً للمسيح، ليس لك شيء في المسيح. إني أتحدى المسيح أنه يقدر أن يأخذك من قبضتي». لماذا يقول الشيطان هذا؟ لأن هذا الإنسان أعطى نفسه وكل شهواته وكل حياته للعالم وللناس.

من يقدر أن يخلّصك إن كنت لم تعط المسيح كل قلبك؟ من يقدر؟ قالها المسيح: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت١٦: ٢٦).

انتبهوا؛ إن كنت قد كسبت الكثير من الناس كرامةً ومجداً ومالاً، فهذا كله سوف تتقيّأه هنا في العالم وتخرج منه بلا شيء. لن تأخذ معك مالاً ولا شهوات ولا بيوتاً ولا ثروات ولا غنًى ولا صيتاً ولا شيئاً بالمرة. ستخرج عرياناً.

يا ابني اسمع نصيحتي وتعال:«اشتري مني ذهباً مُصفّى بالنار لكي تستغني وثياباً بيضاً لكي تلبس فلا يظهر خزي عُريتك، وكحّل عينيك بكحل لكي تُبصر» (رؤ ٣: ١٨). ولكي تنفتح عيناك على الإنجيل ثانية لكي لا تعود تقول:«إني أنا غني وقد استغنيتُ ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان» (رؤ ٣: ١٧). هذا ما سيُقال لكم في السماء وليس مني، بل من الذي يعرف أن يقول ويحاسب بالحق؟ أما أنا فليس لي غير التحذير، ولكن ليس لي أن

أُحاسب أحداً. فأنا لو أدنت أحداً فويل لي، لو أدنتُك أصير أنا مُداناً أمام الله. فكلكم محاللون ومُباركون، سواء عملتم ما عملتم. أما أنا فعليّ أن أبارك فقط.

فكل من يقول لي: «حاللني يا أبونا»، أجيبه: «الله يحالك» ١٠٠ مرة، أقولها وأنا عارف أنه غلطان، ولكني لا أقدر أن أدينه. كل ما أستطيعه هنا هو أن أوقظ، أو أُلوّح بسيف الكلمة ذات اليمين وذات اليسار، بسيف الكلمة القوي البتّار لكي أذبح وأجرح القلوب المغلقة التي امتلأت دماً فاسداً، لكي يسيل الدم الفاسد منها ويُطرد خارجاً بالكلمة. ولكن ليس لي أكثر من ذلك. كل واحد أنحني قدّامه وأقبّل التراب الذي عند قدميه. ليس لي غير هذا، أقول له: أخي وحبيبي وصديقي. وابني وأبي انتبه!

لماذا تركت ميزانك ناقصاً جدّاً! هذا أقوله، والذي يسمع الكلمة وتدخل وتسكن في الداخل، فقد ربح نفسه ونال الحياة الأبدية. أما الذي جاءت الكلمة ثقيلة على أُذنه، الذي له أذن تسمع ولا يسمع، وقلب كبير قدّام الناس ولكنه صغير محصور في ذاته وملآن دماً أسود فاسداً، فماذا أفعل له؟

أتوسّل إليكم، إسمعوني وأدخلوا هذا الخنجر داخل قلبكم واعصُروا وأخرجوا الدم الفاسد، وخذوا من دم المسيح وغيّروا دمكم، واملأوا عروقكم بدم جديد، دم كلمتي حي مُحيي، فالميت يحييه، والفاسد يشفيه.

كلمتي قصيرة وشديدة، ولكنها ليست لي. أما الذي جاء جديداً، فإني أقول له: الطريق واضح كالشمس أمامك، إن ملت يميناً أو شمالاً فقدت الذي لك في السماء من فوق وفي الأرض من تحت، وهكذا يكون

تركك كله في الباطل.

لقد أتيت لكي تملك الحياة الأبدية، و لم تأت لكي يقولوا عنك أنك قد ترهبت في الدير الفلاني. لا يا ابني.

إن افتخرت فافتخر بكلمة الحياة الأبدية التي بداخل قلبك، التي تلهج بها النهار والليل، وليس التي تتكلّم بها: أنا لا آخذ أبداً من أفواه الناس كلمات. فإني أسمع الآيات من بعض الأفواه وأقول ما أحلاها. ولكن يا للعجب يا رب، القلب ميت، والفم يتكلّم. هل كلمة الإنجيل لم تقدر أن تلده؟ هل تعسّرت في ولادته، وبقي سقطاً، وهو ما زال يتكلّم بكلمة الإنجيل، يتخيّل له أنه يقدر أن يلد أولاداً جدداً بكلمة الإنجيل وهو لم يُولد بعد؟!

لا تضحكوا على أنفسكم وعلى ثيابكم السوداء! ولكن راجعوا أنفسكم مراجعة عنيفة لأنه ليس هناك في السماء مهادنة ولا غش.

فسوف ترى في عيني المسيح الفاحصة خطاياك كلها في لحظة وينظر إليك نظرة حزينة فتختفي في الحال. سوف تقف أمام الوجه اللطيف والعينين الحلوتين، ويبتسم لنا ويقول: نعما أيها العبد الصالح والأمين، أعمالك وُزنت فوجدت صالحة جدّاً في عينيّ، إن تعبك كثير يا ابني، وتألّمت كثيراً، أجرك كثير. والملائكة تأخذه من أمام المسيح ليقف في الخورس الأول أمام الآب.

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٣، ٤).

أيها الأخ المبتدئ وأيها الشيخ، من غير "**كل**" فلا فائدة.

فهنا: «تحب الرب إلهك من **كل** قلبك ومن **كل** نفسك ومن **كل** فكرك».

يقابلها: «تركنا **كل** شيء وتبعناك».

لماذا جئنا إلى هنا؟ راجعوا أنفسكم يا آبائي.

نحن جئنا لكي نلتصق بالمسيح يسوع وليس لكي نلتصق بالأرض.

فيا أصحاب المشاريع، مشاريعكم كلها راجعتُها فوجدتها كلها خاسرة.

أنتم ملائكة مسبّحون، فإذا لم تحضروا التسبحة فلستم ملائكة. خرجتم من الأرض ثم رجعتم ومن كل القلب، إذاً ليس لكم شيء عند المسيح.

الأعمال التي تعملونها في الأرض لن تخلّصكم ولو تعلّقتم من جفون عيونكم.

الله لا يجازي بالأعمال، الله يجازي بالحب الكائن في الأعمال.

إن أحببت، فلو رفعت قشة من موضع لموضع تُحسب لك عملاً سماويّاً.

أما إن لم تحب، فلو تتعلّق من جفون عينيك لن تر الرب بوجه حسن ولن يكون لك نصيب في السماء.

فالرهبنة حبٌّ وترك. فالذي يعمل، فإنه يعمل وهو يعلم أنه تارك للعمل، والعمل ليس له. فلا خناق من أجل العمل ولا غضب، ولا قفل للقلاية بسبب الغضب في العمل. ولا حزن ولا شخط، ولا تخويف، ولا

تهديد.

فالشيطان هو الذي يوحي لك: أشخط فيهم ولا يهمك، أزعق، إعمل نفسك مجنون لكي يخافوا منك ويعملوا لك ألف حساب.

وهكذا يخرج عليه صيت إنه مرعب ولا أحد يجيء ناحيته.

يا إلهي! لقد أضعت محبة الأخ، ليس لك سند في الناموس ولا الأنبياء، لا في العهد القديم ولا العهد الجديد. لا لا، أبطلوا الصوت العالي، أبطلوا الزعيق والشخط، أبطلوا الغضب. أبطلوا الاختفاء من قدام الرهبان لكي تخيفوهم أو لكي تتحاشوهم. إن تحاشيت أخاك هنا فلن تراه هناك ولن ترى الله أيضاً.

هوذا الله ينادي على أورشليم قائلاً:

+ «يا أُورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسلين إليها، كم مرّة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدّجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً!» (مت ٢٣: ٣٧،٣٨).

إن لم تتصاغر حتى تصير مثل كتكوت فلن تستطيع أن تنـــزل تحت جناحي الرب أبداً. ولكنك تتعامل مع إخوتك مثل ديك، تنقر، لذلك ليس لك وجود تحت جناحي الرب.

كذلك المسيح قد أرسلكم كحملان وسط ذئاب. فأنتم إذن حملان الله، فلستم كباشاً تنطح. يا آبائي، اصحوا لأنفسكم، فليس هناك واحد يغضب ويبقى ابناً للمسيح.

ليس لك صنعة في هذا الدير إلا الحب من كل القلب ومن كل النفس

ومن كل الفكر. لماذا؟ لأن هذه هي صناعتك التي أعلنتها للناس كلهم ولأبيك وأمك ولكل الدنيا عندما تركت كل شيء وتبعت المسيح. أليس كذلك؟

فمن هو الراهب؟ هو الذي ترك أباه وأمه وأهله وكل ما يملكه وتبع المسيح.

فصناعتك الوحيدة أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. وقريبك مثل نفسك. لذلك قس أعمالك كل يوم على هذا المقياس تجدها ناقصة.

المسيح مات على الصليب من أجلي، وأنا يجب أن أرتمي تحت أقدام إخوتي وأُقبّل أرجلهم. آه لو حصل هذا، إنه حلم، حلم الأب، لو تحقق، فقد تحقق الإنجيل. فهل هناك سبب في أنه لا يتحقّق؟ يعلم الله أنه ليس هناك عائق، إلا الشيطان. فالشيطان هو السبب الوحيد الذي يمنع تحقيق ذلك.

فالشيطان هو الذي يقول لي: (لمّ عزالك وقُم وخذ إنجيلك أنت تنفخ في قربة مقطوعة. وأنت تصرخ في واد لا يسمعك فيك أحد).

فهل هذا صحيح يا إخوتي وآبائي؟ هل صحيح أنه لا فائدة من كلامي؟

أما أنا فسامحوني، فقد سبق قبل ذلك أني لم أجد فائدة من كلامي فمشيت. وأنا لم أمش لأني كرهتكم، كلا البتة، فعيب عليّ، وإلا أصير إنساناً كذاباً قدام المسيح يسوع.

لقد مشيت من الدير، ومشيت حزيناً أهيم على وجهي باكياً، لأني لم

أجد لنفسي مكاناً في قلوبكم، و لم أجد للمسيح مكاناً في قلوبكم. فقلت في نفسي: لماذا قعودي هنا؟ أنا أمشي أفضل!

فلما أتى المسيح بي، جاء بي بوضوح كالشمس بينما أنا مريض، وقال لي: من أجل الذين جاءوا للمسيح. ألست أنت قد جئت لي؟ إذن، فاذهب للأولاد الذين جاءوا من أجلي، ارشدهم لطريقي. فقلت سمعاً وطاعة يا ربي يسوع.

جئت إلى هنا وأنا لا أعرف ماذا أقول. فوجدت ما هو قدامي فها أنا أقوله: إن الله جميل جدّاً، من أجل هذا فهو جدير بأن يعودوا إليه ويراجعوا أنفسهم لكي نصير كلنا فعلاً قلباً واحداً وفكراً واحداً في المسيح.

قلب ترك كل شيء وأحبّ الرب من كل قلبه.

ونفس تركت كل شيء وأحبت المسيح من كل عواطفها.

وفكر ترك كل العالم وانحصر في المسيح يسوع من كل أفكاره.

فهوذا أنتم عندكم مواهب، الله يشهد على صدقي، إن كل واحد منكم يقدر أن يكتب مثلما أنا أكتب. عندكم مواهب مدفونة تحت أشياء أخجل أن أقولها.

والمحراث الذي وضعنا عليه أيدينا، نظرنا إلى الخلف، وظللنا ناظرين وراءنا نحرث بسرعتنا والمحراث خرّم وطلع على العالم.

حي هو اسم الله، إنه عندكم عشرات لهم قدرة للوعظ من أعلى ما يمكن، لهم قدرة للملء بالروح القدس واستعداد للخدمة، إلا أنهم ليسوا مملوئين، لماذا؟ لأنهم لم يتركوا كل شيء، لم يحبوا من كل القلب. فكيف

يمتلئون؟ كيف سيحل الروح القدس طالما القلب ليس ملآناً بالحب؟ فهو لا يملأ إلا القلب الملآن بالحب.

وهذا هو ما أتعجّب له، وهذا هو ما تتعجّب له الناس. تركنا، ومع ذلك فهوذا روح الله ليس ظاهراً، لا يشتغل ومع ذلك هناك أنين صاعد من كل قلاية. يا آبائي ويا إخوتي، هل ممكن نعود للرب عودة حقيقية صادقة؟

أنا اليوم جئت صوتاً صارخاً في البرية: أعدوا طريق الرب. لابد أن نبتدئ بالتوبة. اليوم ها أنا أقول: نبتدئ بالرسل، نبني بناء الرسل.

الكلام يبني بعضه. أنا وضعت الأساس وأبني عليه، والذي عنده استنارة وعنده معرفة روحية يعرف إن كان هذا بناء أم لا.

وضعنا أولاً الصراخ في البرية من أجل أن نُعد طريق الرب، «فيردُّ قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعنٍ» (ملا٤: ٦). هذا هو إيليا، والرب قال لهم: الحقيقة إن إيليا قد جاءٍ وعملوا به كل ما أرادوا. هذا هو اعتراف الرب يسوع أن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان، وقال: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.

أما الكلمة الثانية فكانت عن البناء على أساس الرسل.

فلنأخذ من الكلمة الأولى التوبة، ونقول للرب: كيف أكذب عليك يا ربي وأقول إني قد تركت وأنا لم أترك؟ أعطني التوبة الصادقة، توبة يوحنا المعمدان، ثم بناء الدور الثاني، بناء على أساس الرسل، وما هو: هوذا نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. والمجد لله دائماً أبديّاً آمين.

٤- حياة الراهب ذبيحة روحية متواصلة[٦]

في الكلمات السابقة اكتشفنا أن حياة الراهب تقوم على أساس تقديم ذبيحتين:

الأولى: ذبيحة الشكر والتسبيح.

والثانية: ذبيحة المحرقة وشركة الآلام مع الرب.

وبذلك أدركنا أن حياة الراهب هي في واقعها **حياة تقديم ذبائح** التي هي أخص خصائص سبط لاوي في العهد القديم. فالذبائح بكل ما كانت تتطلّب من ذبح وسلخ وفصل الشحم وما يجب حرقه على مذبح النحاس ثم فصل مخصصات الكهنة ثم ما يُعطى لمقدّم الذبيحة، كل ذلك كان يقع على عاتق اللاويين ويأخذ الجزء الأكبر من جهدهم ومن وقتهم.

وكان الله في القديم مهتماً جدّاً بتقديم الذبائح وقد خصّص أسفاراً بأكملها لشرح أنواع الذبائح وظروف كل منها وشروط تقديمها بكل تفصيل، ليس لأن مادة الذبيحة في حد ذاتها كانت تهمه، ولكن لأن الذبيحة كانت تعتبر مدخلاً للإنسان ليستطيع أن يتقدّم هو نفسه إلى الله، وهذا هو غاية ما يشتهيه الله أن نقف أمامه «قديسين وبلا لوم **قدامه** في المحبة» (أف ١: ٣).

فإذا اكتفى الإنسان بتقديم الذبيحة دون أن يستفيد من الفرصة المعطاة

---

(٦) ألقيت علي الرهبان يوم ١٤ أغسطس عام ١٩٩٥

له بذلك ليتقدّم هو إلى الله، فقدت الذبيحة قيمتها وحادت عن الغاية التي وُضعت من أجلها.

والعجيب الذي نريد أن نلاحظه في العهد القديم الآن هو أن طقس اللاويين المتخصصين في تقديم الذبائح كان يتضمّن الأصول الأولى للتكريس الرهباني القائم على أساس تقديم نذر وعهد بترك العالم والأهل والتخصُّص لخدمة الرب وحفظ الكلمة.

فقد عثرت على آية عجيبة في سفر التثنية يقول فيها موسى في معرض حديثه عن سبط لاوي:

+ «الّذي قال عن أبيه وأمّه: لم أرهُما، وبإخوته لم يعترف، وأولاده لم يعرف، بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك» (تث ٣٣: ٩).

هنا نجد في صميم طقس اللاويين في العهد القديم العنصرين الأساسيين اللذين تقوم عليهما الرهبنة:

أولاً: ترك العالم والأهل: الأب والأم والإخوة والأولاد.

ثانياً: التخصُّص لحفظ الكلمة. (ولا ننسى أن أعظم من شرحوا الإنجيل كانوا دائماً من الرهبان).

هذا بخلاف **العنصر الثالث** الذي هو التفرُّغ لتقديم الذبائح بصفة مستمرة، الذي كان عمل اللاويين الأساسي.

لقد خرج آباء الرهبنة الأوائل مثل أنطونيوس وغيره من الآباء، وتركوا الأب والأم والأولاد كوصية الرب (لو ١٤: ٢٦)، ليتفرّغوا لحفظ كلمة الإنجيل كقول الرب أيضاً: «لأجلي ولأجل الإنجيل» (مر ١٠: ٢٩)؛ لقد فعلوا ذلك بإرشاد الروح القدس وبتسليم من الرسل

أنفسهم: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مر ١٠: ٢٨)، ولم يدروا أنهم بذلك كانوا يتمّمون طقس اللاويين القديم كما تشرحه الآية (تث ٣٣: ٨) بالحرف الواحد.

إذن فطقسنا الرهباني يمد جذوره في عمق العهد القديم. لقد سبق الروح القدس وخطّ أصوله الأولى في طقس اللاويين.

إن الذبائح بأعدادها الهائلة التي كان اللاويون يقدّمونها ألغاها المسيح بذبيحة نفسه، ولكن يقابلها الآن من طرفنا نحن ذبائح روحية حسب الآية الرائدة:

+ «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم **ذبيحة حيّة** مقدّسة مرضية (εὐάρεστον = well pleasing) عند الله **عبادتكم العقلية** λογικὴν» (رو ١٢: ١).

إذن، فالعهد الجديد له ذبائح متعددة كما أدركنا من ذبيحة الشكر والتسبيح وذبيحة الشركة في آلام المسيح والذبيحة العقلية.

وقد رجعت إلى العهد القديم لأستجلي أنواع ذبائح الحمد والتسبيح والشكر فوجدتها تملأ المزامير وعلى سبيل المثال:

١٠٧: وليذبحوا له **ذبائح الحمد** وليعدوا أعماله بالترنُّم.

٢٢ فلك أذبح **ذبيحة حمد** وباسم الرب أدعو.

١١٦: **اذبح لله حمداً** وأوفِ العليّ نذورك، وادعُني في يوم

١٧ الضيق أُنقذك فتمجّدني.

٥٠: ١٤ ذابح الحمد يمجّدني.

٢٣ :٥٠ اذبحوا **ذبائح البر** (بر المسيح) وتوكّلوا على الرب.

٥ :٤ لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يديّ

٢ :١٤١ **كذبيحة مسائية.**

فأذبح في خيمته **ذبائح الهتاف**. أغنّي وأرنّم للرب.

٦ :٢٧ اللهم عليّ نذورك. أوفي **ذبائح الشكر** لك، لأنك

١٢ :٥٦ نجّيت نفسي من الموت، نعم ورجليّ من الزلق لكي أسير قدّام الله في نور الأحياء.

أُسبّح اسم الرب **بتسبيح وأعظّمه بحمد**، فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف.

٣١ :٦٩

إذن، فهناك في العهد القديم ذبائح حمد، ذبائح شكر، ذبائح هُتاف، ورفع اليدين مُعتبر كذبيحة مسائية، واستقامة الصلاة كتقديم البخور، وتسبيح اسم الله معتبر ذبيحة مرضية عند الله أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف.

والحقيقة أن الشعب في العهد القديم لم يع هذه المعاني الروحية ولم يعيشوها - إلا ربما بعض الأنبياء، وبالتأكيد داود نفسه الذي كتبها ومارسها. ولكن عامة الشعب والكهنة واللاويون لم يدركوا شيئاً من هذه الآيات وكأنها مكتوبة خصيصاً لأجلنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور كما يقول بولس الرسول (١كو ١٠: ١١).

فإذا عُدنا إلى العهد الجديد وجدنا الذبائح الروحية تتجلّى فيه بكل وضوح:

+ «**فلنُقدّم به** (أي بالمسيح، بالاتحاد بذبيحته الماثلة كل حين أمام الآب) **في كلّ حينٍ لله ذبيحة التّسبيح، أي ثمر شفاهٍ مُعترفةٍ باسمه**» (عب ١٣: ١٥).

أي أن مجرّد الاعتراف باسم المسيح وبما فعله من أجلنا هو ذبيحة. ففي كل مرّة تقول قانون الإيمان بانتباه نحن في الواقع نقدّم لله ذبيحة أي «ثمر شفاه معترفة باسمه».

+ «فأطلُب إليكم أيّها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا **أجسادكم ذبيحةً حيّةً مقدّسةً** مرضيّةً عند الله، **عبادتكم العقليّة**» (رو ١٢: ١).

+ «لتقديم ذبائح روحيّةٍ مقبولةٍ عند الله بيسوع المسيح» (١بط ٢: ٥).

حينما نتحد بذبيحة المسيح حينئذ تصير ذبيحتنا الروحية مقبولة لدى الآب في ذبيحة ابنه الوحيد.

+ «كونوا متمثّلين بالله كأولاد أحبّاء، واسلكوا في المحبّة كما أحبّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، **قرباناً وذبيحةً لله رائحةً طيّبةً**» (أف ٥: ١ و٢).

أي أن السلوك في المحبة معتبر شركة في ذبيحة المسيح التي قدّمها حبّاً للآب كرائحة طيبة.

+ «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: «ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيّأت لي جسداً... ثمّ قُلت: هأنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوبٌ عنّي، لأفعل مشيئتك يا أللهُ ... **فبهذه المشيئة نحن مُقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرّةً واحدةً**» (عب ١٠: ٥-١٠).

أي أننا نتقدّس بالدخول في شركة مع المسيح في تقديم جسده للآب كذبيحة أفضل بلا قياس من ذبائح العهد القديم.

+ «مُكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانيّ روحيّة، **مترنّمين ومُرتّلين في قلوبكم للرّبّ**. شاكرين كلّ حين على كلّ شيءٍ **في اسم ربّنا يسوع المسيح، لله والآب**، خاضعين بعضكم لبعضٍ في خوف الله» (أف ٥: ١٩-٢١)

إذن يوجد في العهد الجديد «**ذبائح روحية**» (١بط ٢: ٥)، «**ذبيحة تسبيح**» (عب ١٣: ١٥)، أي ثمر شفاه معترفة باسمه، **ذبيحة جسد بأكمله** (رو ١٢: ١)، **ذبيحة عقلية** (رو ١٢: ١)، **ذبيحة سلوك في المحبة** كشركة في ذبيحة المسيح كرائحة طيبة (أف ٥: ١)، **ذبيحة مشيئة** (عب ١٠: ١٠)، **ذبيحة قلب مترنّم** (أف ٥: ١٩).

كل هذه الذبائح لم تعيّن لها الكنيسة فئة ثابتة إلا الرهبان. فهم **كهنة ولاويو العهد الجديد** الذين لا يكفّون طول النهار والليل عن تقديم الذبائح لله، التي تكون في جملتها صورة حيّة ناطقة لذبيحة المسيح التي غطّت ضرورة كل ذبائح العهد القديم. بمعنى أن ذبيحة المسيح وما ولّدته من كافة الذبائح الروحانية ضرورة حتمية تعادل وتفوق ضرورة وحتمية ذبائح العهد القديم التي كانت مجرّد رمز، ولكن الآن نحن نقدّم ذبائح الحق.

لذلك نسمع بكل انفتاح وعي كلمات بطرس الرسول: «وأمّا أنتم **فجنسٌ مُختارٌ** (في المسيح: اخترانا فيه أف ١: ٣)، **وكهنوتٌ ملوكيٌّ** (نكهن تحت يد الكاهن الأعظم)، **أمّةٌ مقدّسةٌ** (مقدّسين في المسيح يو ١٧: ١٩)، **شعب اقتناءٍ** (اقتنانا بدمه أع ٢٠: ٢٨)، **لكي تخبروا**

بفضائل الّذي دعاكم من الظّلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩).

فهذا هو عملنا الأساسي أن نعترف بفضله علينا أي أن نقدّم «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

والآن بعد أن عرفنا عملنا في الكنيسة وهو تقديم ذبائح روحية متحدة بذبيحة المسيح أمام الآب فهل نحمل المسئولية؟ هل نقدّم ذبائحنا وصلواتنا فترتفع كالبخور قدّام الآب الصالح فيشتمّها مع رائحة ذبيحة المسيح التي رفعت على الجلجثة يوماً ما ولكنها «بروح أزلي» (عب ٩: ١٤). أي أنها لا تـــزال ماثلة كل يوم أمام الآب متشفّعة في ضعفنا والآب يشتمّها كل حين من أجلنا كرائحة طيّبة.

هل نقبل عهدنا؟ هل نتمّم نذرنا؟ كنذر لاوي «حفظوا كلامك وصانوا عهدك» (تث ٣٣: ٨).

ما معنى هذا؟

معناه أننا سنلتصق بذبيحة المسيح الليل والنهار. سنلتصق بالرب كل حين. والنتيجة الحتمية هي أن نصير مع الرب روحاً واحداً حسب حق الآية:

+ «من التصق بالرب فهو روحٌ واحد» (١كو ٦: ١٧).

أليس هذا هو الهدف الأعظم الذي خلقنا من أجله؟

وأليس هذا وعداً إلهياً صادقاً وحقاً وواجباً ملزم التنفيذ؟

﴿ والآن ﴾

والآن آتي إلى أخطر موضوع طرقته في الوعظ بالنسبة لحياتنا!

أتكلّم أمام الله:

نحن مسيحيون قبلنا يسوع المسيح إلهاً مخلّصاً وفادياً ومصالحاً، وقد أعطانا عن يقين الروح روح البنوّة للآب، فنحن عن يقين الإيمان ووعد الله نحن أولاد الله، وقد نلنا بقيامة المسيح حياة جديدة في إنساننا الجديد الذي لا يستطيع العالم ولا الشيطان أن ينـــزعه أو يبطله. بل نحن بالروح القدس غلبنا العالم وقهرنا الموت والشيطان.

فإن كان هذا هو الأمر الحقيقي والواقع بالنسبة لحياتنا الآن في المسيح أمام الله الآب بشهادة الرسل والأنبياء والمسيح نفسه، فلماذا نحن هكذا متخلّفون عن حقيقة واقعنا الإلهي المكتسب بالصليب والروح القدس والقيامة؟ لماذا نعيش مرتبكين بأعمال الجسد وكأننا نعيش في الجسد العتيق الذي أماته المسيح على الصليب وانتهى من حياتنا إلى الأبد؟ لماذا نحن مرتبكون بالجسد؟ وبأعمال الجسد وحركات الجسد وشهواته العتيقة الطبيعية؟

+ «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميّتٌ بسبب الخطيّة، وأمّا الرّوح فحياةٌ بسبب البرّ (بر المسيح)» (رو ٨: ١٠)

القديس بولس يتكلّم هنا عن **الجسد العتيق**، قد مات، قد انتهى إلى الأبد من حياتنا. الآن نحن نحيا بالروح وليس بالجسد. لأننا مولودون من الروح والمولود من الروح روح هو كما قال المسيح لنيقوديموس:

+ «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الرّوح هو روحٌ» (يو

٣: ٦)

نحن لسنا بعد جسدانيين ولا بالجسد نعيش، بل نحن روحانيون وبالروح نحيا، **لأننا وُلدنا ثانياً من الماء والروح.**

إذن، فالجسد العتيق مع كل أعماله قد مات على الصليب، والآن نحن نعيش في الإنسان الجديد بالروح.

▪ لذلك أقول مع بولس الرسول: «إن كنتم بالرّوح تُميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨: ١٣).

نعم، إننا بأعمال الروح القدس وبتقديم ذبائح الشكر والتسبيح، وباحتمال الآلام مع المسيح نحن نميت الجسد العتيق الذي أماته المسيح.

▪ ولكن ما معنى وما القصد من قول القديس بولس «**لا تَملكَنَّ الخطيّة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته**» (رو ٦: ١٢)؟

ما هي الخطية هنا: هي الخطية التي مات المسيح من أجلها وألغاها، وهي خطية العصيان، فكيف نُملّكها؟ وما معنى نُملّكها للجسد المائت؟

معناه أن نعود نُحيي الجسد العتيق بخطاياه التي مات المسيح من أجلها.

وما معنى وما نتيجة أن نُملّك الخطية في الجسد المائت؟

معناه أن الإنسان لا يعود يؤمن بالمسيح مصلوباً وفادياً ومخلّصا، وبالتالي لا يعود يؤمن بالغفران والتوبة وحياة القداسة والبر. فهذه هي العودة للجسد العتيق مرّة أخرى.

▪ إذن، فحركات الجسد الطبيعية وضعفات الطبيعة البشرية التي تحارب الروح فينا والتي يستغلها الشيطان ليوهمنا أننا خطاة، لا تُحسب

أنها تمليك الخطية في الجسد، طالما نحن لا نوافقها بل نؤمن بالصليب والقيامة ولنا الروح القدس ونحيا في المسيح يسوع والمسيح يحيا فينا، ونعترف وتُغفر خطايانا.

مرّة أخرى: نحن نحيا في المسيح والمسيح يحيا فينا.

الروح القدس الذي أخذناه في المعمودية يشهد لنا أننا أولاد الله.

والجسد والدم الذي نتناوله يجدّد شركتنا مع المسيح كل يوم.

نحن نعيش في الإنسان الجديد المدعو لميراث الملكوت.

فالآن كفُّوا عن أن تعيشوا في **أوهام الجسد المائت** الذي يستغله الشيطان ليلهيكم عن واقع الحياة الأبدية التي فيكم ويزعجكم حتى تفلت أيديكم من المسك بالحياة الأبدية وحتى يمنعكم من تقديم «أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله».

لا تطيعوا أوهام الشيطان. أنتم قديسون في المسيح وفي الروح القدس والملكوت من نصيبكم. فاخرجوا من هذا الفخ الوهمي الكاذب وابتدئوا اعملوا عملكم الإلهي بالتسبيح وبتقديم حياتكم ذبيحة حب لله كل يوم.

+ «في ما بعدُ لا يجلب أحدٌ عليّ أتعاباً، لأنّي حامل في جسدي سمات الرّبّ يسوع» (غل ٦: ١٧).

+ «من أجل أنّ الخادمين، وهم مُطهّرون مرّةً، لا يكون لهم أيضاً ضميرُ خطايا» (عب ١٠: ٢)

+ «لنتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشةً قلوبنا من ضمير شرّير (**بدم المسيح**)، ومُغتسلةً أجسادنا بماء نقيٍّ (**في المعمودية**). لنتمسّك بإقرار الرّجاء راسخاً، لأنّ الّذي وعد هو أمينٌ» (عب ١٠: ١٢، ١٣).